

كارمن واينشتاين: أموات يهود مصر "يحتضرون" في مقابر البساتين

محمد نعيم

السبت 25 ديسمبر 2010 GMT 7:00:00

وصفت رئيسة الطائفة اليهودية في القاهرة الوضع الذي آلت إليه مقابر البساتين اليهودية بـ "الاحتضار"، في ظل انعدام الحفاظ على تلك المنطقة الأثرية، لاسيما بعد تسجيل بعض أحواشها في الآثار المصرية، وقالت كارمن واينشتاين ان يهود العالم ضموا أصواتهم إلى صوتها.

**القاهرة:** أعربت كارمن واينشتاين رئيسة الطائفة اليهودية في القاهرة عن بالغ قلقها من تردي وضع المقابر اليهودية في حي البساتين في العاصمة المصرية، فرغم أن تلك المقابر هي ثاني أهم مدافن يهودية على مستوى العالم بعد مقابر جبل الزيتون في القدس، إلا أن أيادي الإهمال لا تتوقف عن العبث فيها، في وقت تعالت فيه نداءاتها، مطالبة الدوائر المعنية في مصر بالتدخل لحماية المقابر التي باتت تحتضر تحت وطأة الإهمال حتى تحولت إلى ما يشبه مكاناً لتجمع القمامة على مرأى ومسمع من المسؤولين.

وترى واينشتاين في حديث خاص لـ "إيلاف" أنها أضحت وطائفتها تعانين تجاهلاً مُفرطاً لحقوق ما تبقى من أقلية يهودية في مصر، مشيرة إلى: "أن الإزمة لا تكمن في كون اليهود المصريين أقلية، وسط نظرائهم من المسلمين والمسيحيين من أبناء مصر، ولكنها تتمثل في وجود مفاهيم خاطئة تربط بين اليهود وإسرائيل، أو بعبارة أخرى مفاهيم وتراكمات أيديولوجية تخلط بين الدين والسياسة".

#### أوكار الممنوعات

وأبدت واينشتاين دهشتها حيال ما تتعرض له المقابر اليهودية في حي البساتين في القاهرة من حملات للاهمال، موضحة أنه على الرغم من أهمية تلك المقابر من الناحية التاريخية، إلا أن الاهتمام بها لا يصل إلى المستوى المطلوب، وتضيف واينشتاين متسائلة: "أليست تلك المقابر مصرية؟ وأمواتها يهود مصريون ساهموا إلى حد كبير في بناء اقتصاد مصر؟ وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا لا يكثر المسؤولون بتحويلها إلى أوكار لتعاطي الممنوعات، ومعقلاً لا يواء المتشردين، وقطاع الطرق؟".

وفي معرض حديثها عن وضع اليهود في مصر، قالت رئيسة الطائفة اليهودية في القاهرة: "اليهود المصريون جزء من نسيج هذا البلد، ومن تبقى منهم فيها رفض وما زال يأبى العيش على تراب غير ترابها، مهما تعددت الإجراءات، فلا يملك احد ان ينزع عنا وطنيتنا ومصريتنا".

وأضافت أن الفجوة الأيديولوجية التي زرعتها فئة أصولية في عقول البسطاء من المصريين هي السبب في الربط بين اليهود وإسرائيل، أو الخلط بين الدين والسياسة، ولعل ذلك كان سبباً مباشراً في إحجام عدد كبير من يهود مصر عن كشف هويتهم الدينية، لاسيما أنهم يشعرون عند الكشف عنها بحالة من الاغتراب وسط بلدهم الذي لا يزالون يحملون جنسيته، ويرفضون التخلي عنها إلى الأبد.

وأضافت: "أن ما يشاع حول عدد اليهود في مصر لا يتجاوز ما يقرب من مئة يهودي، إلا انني أوكد ان عدد اليهود المصريين يفوق ذلك إلى حد كبير، غير انهم يرفضون الكشف عن هويتهم خشية تعرضهم لأذى وسط المجتمع الذي يعيشون فيه، ولا تكتشف الطائفة انهم يهود إلا عند وفاتهم، عندما يطالب أقاربهم بدفنهم في مقابر البساتين".

وعلى ذكر مقابر البساتين، عادت واينشتاين للحديث عن بيت الفصيد، مشيرة إلى أن المقابر التي يدور الحديث عنها كان قد حصل عليها اليهود من احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر، حتى يدفنون فيها موتاهم، ويعود تاريخ بعض المقابر فيها إلى القرن الخامس عشر تقريباً، وبعد تلك الحقبة الزمنية وارى تراب هذه الارض كبار الشخصيات اليهودية المصرية، التي كان لها باع طويل في خدمة الاقتصاد المصري، ومن هذه الشخصيات والاسر، الحاخام "حاييم كابوتشي" و"القطاوي باشا"، ورائداً بناء الاقتصاد المصري "عدس"، و"اشيكوريل"، اللذان لا تزال متاجرهما تعمل حتى الان في مصر، بعد ان تم تأميمها إثر ثورة تموز/يوليو عام 1952.

#### أهمية تاريخية ودينية

ومن المقابر التي وضعها المجلس الأعلى للآثار على قائمة الآثار المصرية "حوش موصيري"، إذ تم تسجيله على أنه أثر مصري، كغيره من المقابر اليهودية التي يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، إذ عُثر فيها على ما يُعرف بـ "جنيزة القاهرة".

وعن الجنيزة تقول كارمن: "الجنيزة عبارة عن وثائق وخطابات كان يتناقلها يهود مصر مع جيرانهم من ذوي الديانات المختلفة، وتخص حياتهم اليومية التي كانوا يعيشونها، إذ كانت عبارة عن وثائق وعقود".

وتقول رئيسة الطائفة اليهودية في القاهرة: "أهمية مقابر البساتين لا تقتصر على كونها موقعاً أثرياً فقط، وإنما تعود أهميتها إلى كونها ثاني مكان يُبعث منه موتى اليهود، وتؤكد الشروح والتفسيرات التوراتية هذا الاعتقاد، إذ تشير إلى أن انبعاث الموتى اليهود من قبورهم سيبدأ من مقابر جبل الزيتون في القدس، ثم يتبعه موتى مقابر البساتين".

وترى كارمن واينشتاين انه انطلاقاً من هذا المنظور الديني، ينبغي الحفاظ على قدسية تلك المقابر، وحمايتها من العبث، وتضيف: "منذ عام 1975 وأنا اسعى بكل طاقتي لدى كافة المسؤولين للحفاظ على مقابر البساتين وحمايتها من الأذى الذي تتعرض له، خاطبت محافظة القاهرة أكثر من مرة، مسؤولي الحي حتى سئمت من الجدل والردود الفاترة التي ربما لا تعي حجم الكارثة، ومنذ هذا التاريخ يتوافد سكان العشوائيات على الإقامة في مقابر البساتين، وهذا لا يليق بصورة مصر، إذ انه من غير المنطق ان ينشأ اطفال وشباب هذا البلد في المقابر".

وطالبت كارمن بأن يتم توفير المسكن المناسب لتلك الفئة من الشعب المصري، حتى تعود الخصوصية إلى مقابر البساتين مثلما كانت عليه في الماضي.

الأمر زاد ضرراً في مقابر البساتين عندما قرر المسؤولون إقامة جسر لعبور السيارات، وكان من الضروري وفق التقديرات الهندسية أن يمر الجسر فوق المقابر، عندئذ - كما تقول كارمن - "تلقينا عدداً بترتيب اوضاع منطقة المقابر بعد بناء الجسر، وعلى خلفية هذا الوعد قمنا بنقل بعض المقابر بعيداً عن مسار الجسر، غير ان الامور ساءت بصورة يصعب وصفها، لاسيما ان المنطقة التي تقع اسفل الجسر تحولت إلى ممر للمشاة، يسمح بالتوغل داخل المقابر دون اي عوائق او عراقيل، وتفاقت المشكلة عندما قرر الحي تجديد شبكة الصرف الصحي في المكان، وقام مقاول المشروع بهدم 300 متر من السياج الذي أقمناه في الماضي حول المقابر، ووجدتنا الشركة ببناء ما تم هدمه إلا ان ذلك لم يحدث حتى الان".

لم تقتصر خلافات الطائفة اليهودية في القاهرة مع المسؤولين في الحي او المحافظة او مع رئيس المجلس الاعلى للآثار نفسه، وإنما طالبت القائمين على شبكات الكهرباء، إذ طالبت رئيسة الطائفة وما زالت بوضع اعمدة إنارة داخل المقابر للحيلولة دون عمليات الاغتصاب وتعاطي الممنوعات وغيرها من جرائم في المقابر، غير أن مطالبها لم تنفذ.

وعن ذلك تقول واينشتاين: "لم يتحرك ساكن رغم مطالبنا الدؤوبة، حتى وصلت الامور إلى حد لا يمكن السكوت عليه، فخلال احدى زياراتي للمقابر فوجئت بمقبرة والدتي السيدة "استر" قد تعرضت للهدم، وسرق اللصوص بابها الحديدي لبيعه في سوق "الخردة"، فضلاً عن سرقة آلات وملابس العمال الذين يقومون بالعمل في المقابر في محاولة يائسة لتنظيفها".

#### حواس والمترجمون

أما في ما يتعلق بالمجلس الأعلى للآثار الذي يقوم عليه الدكتور زاهي حواس، فقالت رئيسة الطائفة اليهودية في حديثها لـ "إيلاف": "الم يرد الدكتور زاهي حواس على طلبنا الرامي إلى توفير مترجمين للغة العبرية من أجل رصد وتحديد الشخصيات اليهودية البارزة التي تم دفنها في المقابر، من خلال قراءة ما هو مكتوب على القبور، فمع مرور الزمن تلاشت معالم هذه الاسماء، وكان من اللازم الاستعانة بمترجمين لتحديدنا".

أزمة مقابر البساتين لم تقتصر على الشأن المحلي في مصر، وإنما تجاوزته للعالمية وذلك في اطار ما وصفته واينشتاين بزيارات يهود الخارج لمقابر البساتين، حيث بعثت إحدى المنظمات الفرنسية المعنية بالحفاظ على التراث اليهودي في مصر، والتي كان يقودها اليهودي الفرنسي "جاك حاسون"، بالعديد من الرسائل للمجلس الاعلى للآثار ووزارة الخارجية المصرية، وطالبت المنظمة في تلك الرسائل بحماية مقابر البساتين، غير ان هذه الرسائل لم تجد مجيباً، لاسيما بعد وفاة حاسون، وانقطاع دعمه الشهري لمقابر البساتين، وحاول يهود الولايات المتحدة استكمال مشوار المنظمة الفرنسية ولكن دون رد فعل ايجابي من الخارجية المصرية والمجلس الأعلى للآثار.



كارمن واينشتاين رئيسة الطائفة اليهودية في القاهرة

